

مذ

مزامير اليوم الدهماء

مقدمة

في خرائب مدينة " راكموم الدهماء " الأثرية عشر على هذه المجموعة من الأناشيد المكتوبة باللغة الدهمانية القديمة. ولأن هذه الأناشيد " المزامير كما سماها كاتبها " تلقي المزيد من الضوء على فترة عصبية من تاريخ الحضارة الدهمانية فقد ارتأت نخبة من علماء التاريخ الأجلاء نشرها في ترجمة أمينة دقيقة تحقيقاً للفائدة العلمية. بقي لنا أن نشير الى أن بعض السطور التي طمست معالمها أو لم تهتد اللجنة الى قراءتها قد أشير إليها بنقاط متجاورة محصورة بين الأقواس ، فنسترعي الانتباه .

لجنة الآثار القديمة

29 / 2 / 2960



◆ د. ماجد الحيدر

دهوك

المزمور الأول

الأشعارُ الماجنةُ والوقورُ
دوالي الكروم وأسرابُ النحلِ التي تطنُّ فوق

الحقول

الألوانُ والدرجاتُ والأفاقُ
كلُّها ، نعم كلها .. لك وحدك
يا أنتَ ، يا من لا يُتعبني الترمُّ بحبِّك

× ×

ليست انفجاراتِ خاطفةٍ قصائدي
وغنائِي ما كان نزوةً
ها أنتَ تحتَ قميصي وفوقَ أوتارِ قيثارتِي
ولأني لا أنطقُ بالزورِ
سأشهدُ أني أحبُّك !
خلّني إذن أنحني
لأقرأَ يدك إذ تجترحانِ الأعاجيبَ
خلّني أنصتَ لعيونِ الحمامِ التي تلتقطُ الحبَّ
منهما

مزمور لحب الإنسان ، لمغني راكوم الأعمى
، غناه في شرخ الشباب ، حينَ كانَ غِراً ، قبل أن
يسملوا عينيه !

أيها الإنسان

أيها الإنسان

لكم أرتل أناشيدَ مجدك !

أني لأعدُّ فضائلك فلا أحصيها

ها هي الأشجارُ تعلو وتعلو

ولكنك الأبهى

وتلك القممُ الشامخةُ تناطحُ الغيوم

لكنَّ مجدك يسمو فوقها

العواصفُ لك والغمامُ

الشمسُ لك وغناءُ الطيورِ



قد أدنى الصمت أودا
وليس إلا في هزيمك المدوي
في نار برك الساطع
في مائك الجارف
الخلاص لروحي
سلاه !

الزمور الثالث

"لإمام المغنين ، يوم طرده من المدينة"

برباطة جاشي أناديكم
مثل حقيقة باردة
مثل أغنية ملها مغنيها
ومثل بصقة أطلقها في الهواء
سأسميكم بأسمائكم واحداً فواحداً ..
ذاك أني .. ذاك أني .. أه .. شاب قلبي !
وأتعبنى التفكير فيكم !
أيها (.....) الغارقون أبداً في الحمأ !

.....

ألأني أويت قبرة عمياء
في الهيكل المقدس ؟
ولأني سألت عن سر تلك الظهور المقوسة
في هذه السلالة
أسلمتموني للعسس
وفقاتم عيوني ؟

الزمور الرابع

" مزموراً ناقص "

(.....)

(.....)

إذ يساقون إلى المسالخ المهجورة
إلى حيث تُنفخ المناطيد
كلُّ بالف روح وستين أغنية
يطلقها " حكيم راكموم وراعيها "

دعني أجس ريشها الذي يُحسِنُ الثناء عليك
ثم تعال معي
وأنظر لذاك القارب الوحيد
تقدّم رويدا وسمع أنينه الذي يتهادى
مستوحشاً صحبتك البهيجة
(.....)

ويا شيوخي الجليل

الغارق بين الكتب (.....) والمجاهر

حين تنزع نظارتك

وتداعب لحيتك البيضاء

متفكراً في قهر لغز ما

سأخطو إليك ، وأقبلُ أصابعك الملطخة بالمداد

و جبينك العرقان !

ويا فتاي العاشق

إن صفيرك الحزين وأنت تروح وتجي ..

فوق الرصيف الموحش

لأغنية سماوية .. لا تحسنها غير ملائكة

مجنحة

.....

لكم أنحني ..

يا خرافي الغافلة

ولكم أبكي .. للذئاب التي ستجيء !

الزمور الثاني

" في الحنين إلى العاصفة "

لم إذن حدث كل ذلك
لم جاءت العاصفة ثم ولت
وتركتني ها هنا أجتز من جديد
أحزاني البغيضة
وما ظننته مُخاضاً مباركاً
ما كان إلا نوبة من جنون دائري قديم
فيا أيتها العاصفة المجيدة أرجعي
واطحي بسقف ضريحي الجليل

سلاهُ!

المزمور السادس

لماذا تأخرَ الفجرُ؟
هل ماتت "اورورا" حقاً؟
قد أيقظونا للصلاة
لكنهم لم يشعلوا النارَ في المواقد
لأجل خبزِ الصباح
الأبقارُ لم نسمع خوارها
والجداءُ الجائعات
لم ترفس أبوابَ الزرائب

رسائلُ توبيخٍ للآلهة

حينها صاحبك أكثرُ

وسامسك بك قوياً

وأشدُّ روحينا

بالفِ حبلِ متينٍ

إلى الشجرةِ المقدسةِ العجوزِ

شجرةِ العذابِ والدمِ

شجرةِ الحدِ (.....)

سلاهُ !

المزمور الخامس

إبكِ أو اضحكِ في راكموم

فلن تخرجَ من صدركِ

غير حشرجاتٍ واهنةٍ!

أم .. عبثاً تريدُ !

فوجهك قد شوَّههُ الخوفُ المتطاوِل!

(.....)

.. نساؤنا العقيمت ..

...ورجالنا المخصيون..

(.....)

(.....)

"نعم ، نعم.."

خلفَ الأبوابِ الموصدةِ

وأمامَ المرأةِ.

"نعم" في الهواءِ وبين طياتِ الثيابِ

.. أمامنا وخلفنا

في كلِّ مكانٍ

لا نستطيعُ منه فراراً

(.....)

نخافُ من صغارنا (....)

بعضُ هذياننا

وعليهم نخاف.

لا تكبروا يا صغاراً، لا تكبروا

فالفؤوسُ في انتظاركم!

.....

لوحة للفنان فرانسيسكو دي غويا 1746-1828

أنا الأعزلُ
أنا السائرُ في نومي أبدا
أنا الجثةُ / نصفُ الجثةِ المترنّحه!

الزمور التاسع

"مزمورٌ لصديقه القاتل"

(.....)

أعدني الى بيتي ..
قد سئمتُ الدَمَ في الطرقات
.. سلاه ..

الزمور العاشر

"مزمور للأصوات"

كفى ، أصيح كفى ..
يا آباءَ الهياكلِ المذهبة
فلتوقفوا هذا المساء
صلواتكم الصاخبة
دعوني أنصتُ
لصوتِ المطرِ الساقطِ
فوق الأسقفِ الحزينة

الزمور الحادي عشر

" لسيد العازفين على نوات الأوتار، سرّاً ،
لحظية الملك"

أيتها العاهرةُ الصغيرةُ
يا ابنة راکوم الجائعة
أما غطيتكِ بعباعتي
حين ألقاكِ السكارى تحت مصباحِ الطريق
أما أطعمتكِ من خبزِ المعبدِ
ومن خمرةِ المقدسةِ أما سقيتكِ ؟
واشتريتُ منك خطاياكِ .. بدمي وصلاتي ؟

أه ...أين صوتُ الديك !.

البرد يقتلنا ..!

سلاه !

الزمور السابع

(.....)

القروياتُ الهزيلاتُ اللائي
يذهبن الى المقابرِ
ليضاجعن الأشباحَ
ويلدن صغاراً بسحناتٍ مكفهرةٍ
وعيون حزينه ..
كعيون شيوخٍ دفنوا أولادهم
في أيام القحط والحروب
(.....)

وهذا فمي المدمى
الذي ضربته الريحُ الشرقيةُ
لمأ يزلُ يغني
غير أن الدموعَ تخونني
ويعروني الصمتُ
حين أتذكرُ قيثارتي
وأنظرُ في أصابعي الماهراتِ
أصابعي الحاذقاتِ الطوالِ
التي داستها العجلاتُ الحديدية...
سلاه !

الزمور الثامن

" خارج الأسوار، في بريةِ راکوم"
وأنتِ أيتها العقبانُ الكاسراتِ ..
ما الذي يمنعكِ من افتراسي
وأنا الوحيدُ .. في هذا المدى الشاسع ..
من الطينِ والخرابِ ؟

عبثاً تنأى بنا العربات المولولة
وعبثاً تُقفل راجعةً
عبثُ هذي المسافات
هذي الأقاليم ، هذي السهولُ الفسيحة
والهضاب
عبثُ هذي العقارب التي لا تكلُّ
عبثُ صحونا ونومنا عبث
عبثُ سماعُ الأغاني
وهذي الثمالات عبثُ
عبثُ كلُّ القبلات
والموتُ والميلاد
عبثُ أرائكُ اللذة
وأسرةُ الترابِ الأبدية
عبثُ... أه عبثُ مريم
لأنني ما حظيتُ ساعةً بعناقك
أيتها العذراءُ المقصوصةُ القدمين
المحلقةُ أبداً
بعيداً عن سماءِ راكموم

...
لا تشتميني يا ابنتي
لا تشتميني
مقيداً كنتُ
حين أخرجوك من بيتي
لترقصي عاريةً
أمام الملك !

المزمور الثاني عشر

"مزمور لرتناء راكموم"

أه راكموم صباي الأول
يا بستاناً لأقاح ترقص للفجر
وتغسلها حبات الطلّ المسكونة بالسحر
وبالألغاز
أه راكموم الطاهرة العذراء الوهبتُ خمراً
أنوتتها

بحاراً لا تعرفه
ألقاها في أول ميناءٍ ومضى
أه راكمومي
يا سيدهُ ترفلُ في أثوابِ اللؤلؤِ والمخملِ
يا أنبلَ خاطئةٍ في الدنيا
كيف تعريتِ وجعتِ وأنكركِ العشاقُ؟
أه يا راكموم السفرِ الدائمِ
يا رائحةَ الخبزِ الساخنِ في أحياءِ الفقراءِ
كيف انكفأ التنورُ وماتت أُمي
وانطفأت في البيتِ الأضواءُ ؟
أه راكموم المحبوبة
أه راكموم المغلوبة
أه يا أعظمَ حجرةٍ إعدامٍ في الدنيا .. أه !

المزمور الثالث عشر

"مزمور للمصير"



بعد خمسين سنة
من سيبقى من الشهود ؟
بعد خمسين ..
سلاه !.. بعد خمسين !

المزمور الرابع عشر

"مزمور للغد"

المزمور الخامس عشر

"مزمور للحصاد"

حصاداً مريراً كان يا ابنتي...
ذاك الذي انتظرناه طويلاً
تفحّمت البتلاتُ والسنابلُ والرثاءُ
والفضاءاتُ والأحلامُ
إذ أتلجتِ الشمسُ رمادا
حين سطعتِ شمسُ إلهِ راکومَ الحجريةِ
وأقفلَ القمرُ في زورقهِ عائداً بسماواتٍ أُخرَ
إذ أضاعَ الماءُ رجولتهِ

بعد خمسين سنة
سينقرض سعاة البريد
وأوراق الرسائل المعطرة
ودكاكين الخبز والخمر
بعد خمسين سنة
سيلقح أطفالنا بأمر السيد الأبدى
ضد الحب والشعر .. وحساسية الورود
اللعيينة

بعد خمسين سنة
سنكبر خمسين حزناً
بعد خمسين سنة
سنغلق أبواب المدينة بخمسين قفل إضافي



لوحة الفوفاء للفنان هنري دومبييه
1879-1880

فرفعت صوتي من جديد
وأنا أسمع رنين قيودي الصدئة
وقلت ساهل لهما
لقدميك المحلقتين
لأنهما تسخران أبدا
من كل معدن أقل

المزمور السابع عشر

للساتر

أه مما يليك
لكم خفت منه
لكم وهنت يداك وأنت تمدها إليه
لكم صليت له
لكم تخشعت وبكيت
لكم همت فيه
لكم مقتته
لكم تحرقت إليه ..
ذلك الهباء الذي
يترامى وراءك

المزمور الثامن عشر

مزمور لطفلة

للطفلة التي لم تات بعد
ساشعل شمعة .. شمعتين
وساحرق البخور
وأثر ماء الورد
للطفلة التي .. لن أراها ..
سارقص حتى الصباح
وساشرب ألف نخب
لصغيرتي .. الطالعة من المقابر الشاسعة
لابنتي .. لابنة أخي .. وأبي .. ومعلمي الذي
ما عدت أذكره

والأرضُ شبقها
فقطفنا تفاحاً أسودَ برائحة الخيانة
ولبناً دامياً
عسلاً من صديد
وعصافير مجنونة
خموراً مالحة
وأناجيل مزيفة
أنبياء فاسقين
وأغنيات مريبة
وفيالق من جراد محموم
وحزناً سرمداً ، ثابتاً ، مضاعفاً ، جليلاً
، راسخاً ، أدياً
وعمرأ ... سلاه...عمرأ قصيراً !

المزمور السادس عشر

مزمور للأقدام

وقلتُ سانشد هذا النشيد لقدميك العاريتين
قدميك اللتين أصاعتا الطريق الى بوابة السور
العظيم

وشردتنا الى حقول الرب
قدميك / الطفلتين الراكضتين وراء الغيوم
الخالضتين في جداول البكورة
اللذبتين كقبلات مسترقة
المغسولتين بالطين والتعب
النحيلتين كظل عجوز بوذي
الشاحبتين كفجر صيفي
العابثتين كموجة طائشة
الحكيمنتين كقطرة ماء
الساخنتين كدموع ندامة
الخرقاوين كخط عاشق صغير
المفضوحتين كاسرار شاعر
... ..
ورفعت صوتي في قبوي
فقال الحراس قد جن

كمشط صدئ
كلغة خائفة
كنوم سلطانٍ مغتصبٍ
كغداة موت أمٍ
كعرق زوجة خائفة
كجورب جندي قتيلا
كهذا الخواء .. الخواء .. الخواء..
تلف رأسي ..
سلاه ..
تلف رأسي
هالة من ضجر.

المزمور الحادي والعشرون

"ألى قيودي"

ويا قيودي الباردة البلهاء
ما كنت يوماً جميلةً
ولن تكوني ...
سلاه

المزمور الثاني والعشرون

"مزمور للطريق"

وبعد أربعين يوماً مضاعفا
ساحسٌ بالتعب
وساجلسُ عند البركة السرية
وأعمرُ رأسي طويلاً
في مائها الغضي الصامت
وأصطلي بالنار التي
أوقدتها لأجلي
راعيتي المقدسة العمياء
وأسرحُ ناظري
في الطريق الذي يتلوى
كافعوانٍ نائم

سأغني .. في يومها الذي أنتظر
وسأبكي ..
لأنني .. لن أراها..

المزمور التاسع عشر

"مزمور لها"

أيتها المجنونة الحكيمة العاهرة المقدسة
لكم مرٌّ من تحت شباكك من شاعر
فلفظته كحبة توتٍ فاسدة
وجلست هناك ..
عند شباكك المشرع
تنتظرين ..
أه .. تنتظرين .. تنتظرين ...

المزمور العشرون

"مزمور للضجر"

كصورة قديسٍ ضامر
في أيقونة تربة
تلفُ رأسي ..
هالة من ضجر
وترسل ذؤاباتها
أزواجاً أزواجاً
لتقمط جسدي المتهاك.
كهلأمٍ منتنٍ من دمٍ وطن
تكسسه ليلاً
بعيدا عن أفنية المسالخ
أنساتُ شمطاواتُ
ينفثنُ من صدور آيلات للرحيل
دخانا برتقاليا
يعجُّ بالخفافيش
والرؤى التي لن تكون
كخطفة تيسٍ عقيم

حروفاً دافئة ناصعة
وتفتحين مغمضة العينين كتاباً وحيداً
عظنته رطوبة القرون
كل مساء أفتح شبابيكي للشمس
وأبحث عما وراءها من نجوم
وتستفيئين بخيوط لزجة
تتقيؤها عناكب بضة
تحلم بالطيران
فيصيبها الدوار
أنكفي وأقوم ، وتقومين لتنكفي
قسمةً لكينا .. عوجاء للأبد :
لكِ السيف ولي السعال
لكِ الصولجان ولي ورد الجعفري
لكِ اليوم والأمس والغد
ولي .. ليس لي !

.....
وكمثل دقائق ساعة خفية
يطاردني التمزق
بين الجهر والكتمان
وأحمل مثل سوط مدمى
نسبي المزدرى العتيد
وأضيع بين أشباح
أبكي لها ومنها
.....

قسمة لكينا
أن يظل هناك
راقداً أبداً تحت نخلة عوجاء
شهيدي قبل أخير !

المزمور الخامس والعشرون

مزمور للخراب
يا إلهي ..
أهذا إذن ... كل ما تبقى !؟

الطريق الغارق في ضباب الوديان
الذي قدمت منه
ثم أسرح ناظري
في الطريق الذي إليه أمضي
في الطريق الذي يتلوى
غارقا في غمام الجبال
سلاه

المزمور الثالث والعشرون

(مزمور في ذكرى الحريق)

يوم أخبرتكم النبوءة أن راكموم سنحترق
كان الطريق الخارج منها يعجُّ بالعربات
أما أنا فكنت وحدي
أسير في الطريق إليها
لأسقي زينونتي
أه ..

لم يبق في راكموم من طفل سواي
أنا العجوز الأعمى

المزمور الرابع والعشرون

مزمور للقبيلة

ها أنا أحاول منذ اليوم السابع
أن أفتح تويجات وردة عنيدة
لأنام فيها أو أموت
ها أنا أزداد نفورا

حتى لتضيع ما بيننا اللغة
احلّق بأجنحة السداجة الواهيات
وتحفرين أنفاقك
بمخالب من حديد السلطان
كل صباح أستبدل كيساً من دمي
بكتاب جديد أتهدى فيه